كمال هشكار شاب مغربي فرنسي درس التاريخ ومارس التدريس، وبسبب زيارته لمسقط رأسه بتنغير وحكايا جده عن اليهود الذين كانوا يقيمون هناك، قبل الهجرة إلى إسرائيل، ارتمى في مغامرة السينما لإنتاج فيلم «تنغير- جيروزاليم، أصداء الملاح». أصداء الفيلم أقامت الدنيا ولم تقعدها على هشكار، إلى درجة إثارة الموضوع في البرلمان.

تقول يهودية مغربية باسرائيل، في إحدى اللقطات: «اللّه يهديهم، سواء المسلمون أو اليهود، نحن لا نريد إلا السلام»!

هشكار يستمع إلى أهازيج مغاربة إسرائيل في لقطة من الفيلم

هشكار قال إن من ذكروا اسمه في البرلمان زادوه شهرة

الموالية هي السفر إلى إسرائيل ومن ثم الدخول إلى الأراضي الفلسطينية. من حسن حظي، أن المرشد الذي كان يتولى مهمة إرشاد مجموعة السياح التي كنت ضمنها كان يهوديا مغربيا. خضت معه في حديث، حيث كان يتحدث اللهجة المغربية بطلاقة. حكى لي أنه ترك الدار البيضاء في سن 17 سنة. خلال الجولة التي كنا نقوم بها، التقينا بأحد المغاربة في قرية إسرائيلية على الأراضي العربية. قام المرشد بتعريفي على المغربي الذي كان يُدعى يوسي بنشطري. كان هو الآخر يتكلم اللهجة المغربية بطلاقة. حكى لي أنه ولد باسرائيل إلا أن أبويه ينحدران من المغرب. دخلنا في حديث، بحيث أخبرني أن والديه أتيا من جنوب المغرب، وبالتحديد من تنغير. كان الأمر بالنسبة إلي مفاجأة كبيرة، علمت أنه «المكتوب» الذي جعلني ألتقي بهذا الرجل. الحماس الذي كنت أراه في أعين الناس وهم يحكون القصص عن تنغير، الصدف التي كانت تقع لي الواحدة تلو الأخرى، كل هذه الأحداث كانت تزيدني إصرارا على إنتاج الفيلم.

□ تكوينك بعيد عن مجال السينما، فكيف اخترت تحديدا إنتاج فيلم عن هذا الموضوع؟

● في البدء لم تكن لي أي معرفة بالسينما؛ إذ كنت أجهل كل شيء عنها. وعلمت أنه من أجل إنتاج فيلم علي أن أتقن الكتابة السينمائية قبل أي شيء. تلقنت كتابة السيناريو وطريقة التصوير وأبجديات السينما. التقيت بفريق عمل جيد ساعدني كثيرا في إنتاج الفيلم، ثم تمكنت من العثور على منتج فرنسي كان مهتما للغاية بالقصة. كان مهتما كثيرا بالمغرب، وبثقافته وقرر بالتالي إنتاج الفيلم، خصوصا وأن القصة كانت مهمة وفريدة. من هنا بدأ المشوار الذي دام لمدة أربع سنوات ليكون بعد ذلك الفيلم جاهزا.

مخرج «تنغير- جيروزاليم» لـ«أخبار اليوم»: لا يمكننا مسح 3000 سنة من الوجود اليهودي في المغرب!

■ حاورته **وصال طنطانا** ■

□ أثار فيلمك التسجيلي «تنغير- جيروزاليم، أصداء الملاح» جدلا واسعا عند بثه على القناة الثانية المغربية، ثم عاد ليناقش في البرلمان بعد إدراجه في المهرجان الوطني للفيلم. لماذا وقع كل هذا في نظرك؟

● **هذا شرف لي، أن يتم ذكر اسمي واسم فيلمي بالبرلمان، وهذا الأمر لن يزيدني إلا شهرة. وأريد أن أقول لهؤلاء لا يمكننا أن ننكر 3000 سنة من تاريخ المغرب، ولا يمكننا مسح الوجود اليهودي من تاريخنا. وأنا لا أعير أهمية لهذا الأمر بقدر ما يهمني الإعجاب الذي يلقاه فيلمي في كل المهرجانات والتظاهرات التي شارك فيها. وقد حصلت على عدة جوائز وطنية وعالمية من خلال «تنغير- جيروزاليم». وبرأيي أن الفيلم لقي النجاح الذي يستحق، خصوصا وأنه يدعو إلى السلام. وقد تلقيت إطراءات من طرف بعض الإسلاميين أيضا، الذين أعجبهم الفيلم، لكن على العموم هناك متطرفون في أي مكان بغض النظر عن توجههم أو ديانتهم.**

□ وعموما كيف تلقيت أصداء الفيلم؟

● **تم بث الفيلم على القناة الثانية، وبرأيي أن هذا شيء جيد. وقد تم ذلك بفضل رضا بنجلون مدير البرمجة بـ«دوزيم»، الذي دعم مشروع الفيلم منذ البداية، وبفضله لقي الفيلم أصداء جيدة جدا. في نفس اليوم الذي عرض فيه الفيلم على القناة، تلقيت أكثر من 2000 طلب إضافة على موقع «فيسبوك»، بالإضافة إلى مجموعة من الرسائل، للمغاربة من كل بقاع العالم. شخصيا لم أكن أتوقع كل هذا النجاح.**

□ لكن الرسائل التي تلقيتها لم تكن كلها رسائل إعجاب، أليس كذلك؟

● **أغلبها كانت كذلك. بالطبع، خلق الفيلم نوعا من البوليميك. وكل الرسائل السلبية كانت تأتي من طرف الإسلاميين، الذين كانوا يقولون إن الفيلم يدعو إلى التطبيع. وبالتالي فهو فيلم صهيوني لأني صورت جزءا منه بإسرائيل إلى آخره.**

تلقيت إطراءات من طرف بعض الإسلاميين الذين أعجبهم الفيلم، لكن على العموم هناك متطرفون في كل مكان

□ طيب، كيف جاءت فكرة إنتاج هذا الفيلم؟

● **أنا ولدت بتنغير، وتركتها في سن يناهز 6 أشهر، أبي هاجر إلى فرنسا سنة 1968، وبالتالي عشت كل طفولتي بفرنسا، وجزءا بسيطا منها بمصر، رغم ذلك كان شيء ما يربطني بتنغير وبالمغرب. كنت أزور مسقط رأسي كل عطلة، وكنت أعود إلى قريتي، لزيارة عائلتي واسترجاع ذكرياتي معهم. في كل زيارة كنت أتوق للتعرف على ثقافة بلدي وعاداتها وتقاليدها. كل هذه الأشياء، جعلت الرابط بيني وبين بلدي قويا. الفكرة جاءت بعد طرح السؤال عن أصولي. كنت أطرح أسئلة كثيرة، من قبيل: هل أنامغربي؟ هل أنا فرنسي؟ ذات مرة طرحت السؤال على جدي، الذي قرر أن يحكي لي بعض القصص عن أصولنا. كنت أحب الإصغاء إليه، خصوصا أنه كان كثير التجوال، فقد اشتغل بالجزائر وبإسبانيا. كان يحكي لي عن فترات «السيبة» قبل تدخل المخزن. حكى لي أيضا أنه عاش فترة تحت حكم المستعمر الفرنسي. وخلال حكيه عن كل هذه القصص، كان يتحدث عن اليهود الذين يعيشون بتنغير. بالنسبة إلي لم يكن الأمر عاديا، فقد كنت أظن أن كل المغاربة هم مسلمون. أما اليهود فلا يعيشون إلا بأوربا، هذا ما كنت أظنه. فإذا بي أكتشف مجتمعا يهوديا بالمغرب، يعود تاريخ تواجده إلى 3000 سنة. بعد ذلك اصطحبني جدي لرؤية المقابر اليهودية وهي الأثر الوحيد، للأسف، الذي ظل لليهود بتنغير. الأمر كان مشوقا بالنسبة إلي، فقد أثار فضولي لمعرفة المزيد. بدأت في طرح المزيد من الأسئلة، على جدي وعلى شيوخ القبيلة، للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات. من هنا أتت الفكرة، أنا في الأصل أستاذ لمادة التاريخ، درست التاريخ بالسوربون. بعد ذلك قررت أن أجري رسالة الدكتوراه عن المجتمع اليهودي بتنغير. اشتغلت على الأرشيف بالقدس لمدة سنة، ثم بمدينة الرباط. بدأت بالتعرف على تاريخ المغرب، لأعلم بعد ذلك أن المجتمع اليهودي بتنغير هو من أصول مغربية. أوحت لي كل هذه الحقائق بإنتاج فيلم عن هذا الموضوع الذي أعتبره مهما. والفضل في ذلك يعود لجدي الذي بلغني بكل هاته الأمور.**

□ وهل كان الأمر سهلا أن تسافر إلى إسرائيل وتسجل شهادات من هناك؟

● **الواقع أنه إلى حدود بلوغي سن 18 سنة، كنت أجهل تماما أي شيء يتعلق بالموضوع. قررت بعد ذلك تعلم اللهجة المغربية والأمازيغية، لتكون الخطوة التي تستمر في استيطان الأراضي الفلسطينية، التي تستمر دائما في إلحاق الأذى بالشعب الفلسطيني وبين اليهود الذين أتحدث عنهم في فيلمي. وهناك نموذج لمواطنة يهودية، تتحدث بإتقان اللهجة الفلسطينية، وتتعاطف مع الفلسطينيين، تحتج معهم وترفض بشدة الأفعال التي تقوم بها الحكومة الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني. هذا يعني أن هناك اسرائيليين يهود من أصول مغربية، يرفضون سياسة حكومتهم. الوضع هناك معقد، خصوصا عندما تكون على أرض الواقع. لا يجب إغفال أن أكثر من 20 بالمائة من الشعب الاسرائيلي هم عرب يهود مسلمين ومسيحيين. برأيي يجب تفادي الخلط. ومن جهتي، أنا أدافع بشدة على الشعب الفلسطيني، وأحلم بأن يعيش بسلام. وسائل الإعلام تنقل صورة مغلوطة عن الوضع؛ إذ يظن المتلقي أن الشعب الاسرائيلي برمته يحتل الأراضي الفلسطينية، فيما أن الأمر ليس كذلك. في إحدى لقطات الفيلم، تقول إحدى اليهوديات المغربيات، التي تقيم باسرائيل، «الله يهديهم سواء المسلمون أو اليهود، نحن لا نريد إلا السلام، الأرض للجميع»، برأيي أن الرسالة، هنا، كانت واضحة وقوية. علينا أن نعلم أن الديانات ورغم اختلافها تدعو إلى السلام. وهناك جمعيات تنشط بهذا الخصوص، وأنا أنتمي لواحدة منها بباريس، اسمها «Salam، Shalom، Paix»، وهي جمعية ينتمي لها المسلمون والمسيحيون واليهود وكذا الملحدون.**

«كثيرون من اليهود في إسرائيل يرغبون في العودة إلى المغرب»

□ من خلال البحوث التي قمت بها، كيف كانت العلاقة بين العائلات المسلمة واليهودية بتنغير؟

● هذه النقطة بالذات ركزت عليها في الفيلم. في التعامل فيما بينهم، كانت العلاقة بين اليهود والمسلمين لا تخلو من بعض المشاكل العادية. لكن ما يجب استخلاصه من القصة والتركيز عليه، هو أن المسلمين من خلال حديثهم عن اليهود، كانوا يتحدثون بطريقة نوستالجية، لا تخلو من الحنين لتلك الأيام التي عاشوا فيها مع بعضهم. وبرأيي أن رحيل اليهود عن تنغير وعن القرى المغربية، هي خسارة كبيرة للمغرب، لأنه خسر جزءا مهما من شعبه. رغم أن اليهود متواجدون دائما بالمغرب، وخصوصا بالدار البيضاء والرباط والصويرة ومراكش. وكذا الذين أجبروا على ترك المغرب، فالمغرب متواجد دائما بقلوبهم وعقولهم، وهم يزورونه حين تسمح لهم الفرصة بذلك. الكثير منهم يتحسرون على ترك المغرب. وقد ركزت على ذلك في الفيلم. وهناك عدد مهم من اليهود الذين دارت عليهم أحداث الفيلم، يرغبون في العودة للمغرب وينوون ذلك. بالنسبة إلي هذا شيء مفرح، أنا أحلم أن يعود كل اليهود المغاربة إلى وطنهم، وإعطاء نوع من التنوع للمجتمع المغربي.

□ هل برأيك هؤلاء اليهود لا علاقة لهم باليهود الذين يقتلون الفلسطينيين يوميا؟

● هؤلاء الذين أتحدث عنهم في فيلمي، من المؤكد أن لا علاقة لهم بذلك. وبرأيي يجب التمييز بين الحكومة الاسرائيلية

الحنين يشد الكثير من اليهود المغاربة للعودة إلى المغرب

□ ما هي الرسالة التي أردت تمريرها من خلال الفيلم؟

● **لدي رسائل عديدة أردت إيصالها من خلال فيلمي. أولاها هي التعريف بأصولي المزدوجة، فأنا مغربي أمازيغي فرنسي. ثانيا، كنت أعلم جيدا أن الفراغ والغموض يلف هذا الموضوع. وبالتالي كان هدفي هو إبراز الهويات المتعددة والتنوع الثقافي الذي يمتاز به المغرب. كنت أرغب في الالتقاء بأشخاص عاشوا تلك المرحلة. كما رغبت في إظهار أن المغاربة شعب يتقن فن التعايش، وأن المغرب قادر، ومنذ زمن، على احتضان اليهود والمسلمين، بعيدا عن كل التوترات التي يعرفها العالم الآن بهذا الخصوص.**

أما الرسالة السياسية التي أردت إيصالها عبر فيلمي، فهي أن المغرب بلد منفتح ومتعدد الثقافات. ومن الجانب التاريخي أردت تسليط الضوء على هذه القصة، التي تعتبر جزءا لا يتجزء من تاريخ المغرب، خصوصا وأن كتب التاريخ والكتب المدرسية تتجاهل هذه الفترة. وقد ارتأيت أن يتم ذلك عبر الصوت والصورة ليكون له تأثير إيجابي قوي: بالصورة سيتمكن المغاربة من رؤية أنفسهم في شخصيات الفيلم، سواء كانوا يهودا أو مسلمين. كانت هذه طريقة أيضا لرد الاعتبار للثقافة الأمازيغية بالمغرب، والتي تعتبر ثقافة مهمة فضلا على أن لغتها هي لغة معترف بها، عانت طويلا من التهميش والإقصاء. أردت كذلك توضيح أن المجتمع يمكن أن تكون له أكثر من هوية، رغم اختلاف هذه الهويات وتعددها، إلا أن ذلك يشكل قوة المجتمع، لا العكس. وقوتنا هي أن نظهر أن للمغرب تاريخ غني علينا إبرازه.

□ بعد هذا النجاح النسبي لفيلمك، هل تفكر بمشروع جديد؟

● **هذا الفيلم أعطاني الرغبة في ممارسة السينما، وفي تفجير كل طاقاتي بها. وسأحرص على أن تكون تيمة أفلامي كلها هي الهوية، لأن هويتي تهمني وأرغب في أن أسلط عليها الضوء. وأنا الآن بصدد الاشتغال على تتمة لنفس الفيلم، والذي سيكون تحت اسم «العودة إلى تنغير». وسأصطحب معي اليهود الذين عاشوا بتنغير لملاقاة أهلهم وجيرانهم. وسأركز على الشباب الإسرائيلي من أصول مغربية، لأمكنهم من التعرف على أصولهم. والعودة إلى بلدهم بعد 50 سنة، لأظهر أن التاريخ والجغرافيا لن تتمكن من فصل الإنسان عن جذوره.**